ودلوا على بعضهم البعض وفي يوم الثلاث طلبوا اهل الحرف من التجار بالاسواق وقرروا عليهم دراهم على سبيل القرض
والسلفة مبلغا يعجزون عنه واجلوا لها اجلا مقداره ستون يوما فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى
الجامع الازهر والمشهد الحسيني واستشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ولطفوها الى النصف
المطلوب ووسعوا لهم في ايام المهلة وفيه شرعوا في تكسير الدروب والبوابات النافذة
وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون ابواب الدروب والعطف والحارات فاستمروا
على ذلك عدة ايام وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد وظنوا ظنونا وحصل عندهم
شدة تخيلة ووسوسة تجسمت في نفوسهم بالقال نطقوا بها ولم يتصوروا حقيقتها وتناقلوها
فيما بينهم كقولهم ان عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة ومنهم من يقول
غير ذلك وذلك بعد ان كان حصل عندهم بعض اطمئنان وفتحوا بعض الدكاكين فلما حصلت
هاتين النكتتين انكمش الناس ثانيا وارتجفت قلوبهم وفي ــــــ عشرينه حضرت مكاتيب الحاج
من العقبة فذهب ارباب الديوان الى باش العسكر واعلموه بذلك وطلبوا منه امانا لامير الحاج فا
متنع وقال لا اعطيه ذلك الا بشرط ان ياتي في قلة ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر فقالوا له
ومن يوصل الحاج فقال انا ارسل لهم اربعة الاف من العسكر يوصلونهم الى مصر فكتبوا لامير الحاج
مكاتبة بالملاطفة وانه يحضر بالحاج الى الدار الحمرا وبعد ذلك يحصل الخير فلم تصل اليهم الجوابات
حتى كاتبهم ابراهيم بيك يطلبهم للحضور الى جهة بلبيس فتوجهوا الى بلبيس ولاقوا هناك ...
وكان ابراهيم بيك كما ... ارتحل من بلبيس الى الصورة وارسلوا الحريم الى القرين وفي ثالث عشرينه
خرجت طائفة من العسكر الفرنساوي الى جهة العادلية وصار في كل يوم تخرج عصبة طائفة بعد اخرى ويذهبون
الى جهة الشرق فلما كان ليلة الاربعا خرج كبيرهم بونابارته وكانت اوائلهم وصلت الى الخانكة وابو زعبل
فطلبوا كلفة من البلد ابو زعبل فامتنعوا فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة واحرقوها
وارتحلوا الى بلبيس واما الحجاج فانهم نزلوا ببلبيس واكثرت حجاج الفلاحين من الوهب فاوصلوهم الى
بلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها وكذلك فعل الكثير من الحجاج فتفرقوا في البلاد بحريمهم ومنهم
من اقام ببلبيس واما امير الحاج صالح بيك فانه لحق بابراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم
وفي ثامن عشرينه ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال وبها من بقي من الحجاج فلم يشوشوا
عليهم وارسلوهم الى مصر وصحبهم طائفة من عساكرهم ومعهم طبل فلما كان ليلة الاحد غايته
جاء الرائد الى الاكراد بالصوة واخبرهم بوصول الافرنج وقربهم منهم فركبوا نصف الليل وشرقوا الى
جهة القرين وتركوا التجار واصحاب الاثقال فلما طلع النهار رجعت اليهم جماعة من العربان واتفقوا معهم
على انهم يحملوهم الى القرين وحلفوا لهم وعاهدوهم على انهم لا يخونوهم فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا
عهدهم وخانوهم ونهبوا حمولهم وتقاسموا متاعهم وعروهم ثيابهم وفيهم كبير التجار السيد احمد بن المحروقي
وكان ما يخصه نحو ثلاثمائة الف ريال فرانسه نقودا ومتجرا من جميع الاصناف الحجازية وعصفت
العرب معهم ما لا خير فيه ولما لحقهم عسكر الفرنساوية فذهب السيد احمد المحروقي الى صاري عسكر
وراجه

وواجهه وصحبته جماعة من العرب المنافقين فشكى له ما حل به وباخوانه فلامهم على تغفلهم وركونهم الى المماليك
والعرب ثم قبض على ابو خشبة شيخ بلد القرين وقال له عرفني عن مكان المنهوبات فقال ارسل معي
جماعة الى القرين فارسل معه جماعة دلهم على الاحمال فاخذها الافرنج ورفعوها بتمعوه الى محل اخر
فاوهمهم انه يدخل ويخرج اليهم احمالا كذلك فدخل وخرج من مكان اخر وذهب هاربا في جوف الليل
العسكر بجمل ونصف جمل لا غير وقالوا هذا الذي وجدناه والرجل فر من ايدينا فقال صاري عسكر
لابد من تحصيل ذلك فطلبوا منه الاذن في التوجه الى مصر فاصحب معهم عدة من عسكره اوصلوهم
الى مصر وامامهم طبل وهم في اسوء حال وصحبتهم ايضا جماعة من نساء الاكابر اللاتي كن خرجن ليلة الحادثة
وهم ايضا في اسوء حالة تسكب عندها العبرات شهر ربيع الاول ــــــ في ثانيه وصل
الفرنساوية الى القرين وكان ابراهيم بيك ومن معه وصلوا الى الصالحية وارادوا اموالهم وحريمهم
هناك وضمنوا عليهم العربان وبعض الجند فاخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الجملة فركب صاري
عسكر واخذ معه الخيالة وقصد الاغارة على الجملة وعلم ابراهيم بيك بذلك ايضا فركب هو وصالح بيك
وعدة من الامراء والمماليك وتحاربوا معهم ساعة انجرح فيها الفرنسيس على الهزيمة فولوهم
على الخيول واذا بالخبر وصل الى ابراهيم بيك بان العرب مالوا على الجملة ينتهبونها فعند ذلك
فر من معه على اثره وتركوا قتال الفرنسيس ولحقوا العرب وخلصوا منهم متاعهم وقتلوا منهم عدة
وارتحلوا الى قطيا ورجع صاري عسكر الى مصر وترك عدة من عساكره متفرقين في البلاد فدخل مصر
ليلا وذلك ليلة الخميس رابعه وفي يوم الجمعة ثالث عشره الموافق لثالث عشر مسرى القبطي
كان وفاء النيل المبارك فامر صاري عسكر بالاستعداد وتزيين العقبة كالعادة وكذلك زينوا
عدة مراكب وغلايين ونادوا على الناس بالخروج الى النزهة في النيل والمقياس والروضة على عادتهم
وارسل صاري عسكر اوراقا للكتخدا الباشا والقاضي وارباب الديوان واصحاب المشورة ومتولين
المناصب وعرفهم بالحضور في صبحها وركب صحبتهم بموكبه وزينة وعساكره وطبوله وزموره الى قصر
قنطرة السد وكسروا الجسر بحضرتهم وعملوا شنكا ومدافع ونحوها حتى جرى الماء في الخليج وركب وهم صحبته
حتى رجع الى داره واما اهل البلد فلم يخرج منهم احد منهم تلك الليلة للتنزه في المراكب على العادة
سوى النصارى الشوام والقبط والافرنج البلديين ونساءهم وقليل من الناس البطالين حضروا
في صبحها وفيه تواترت الاخبار بحضور عدة مراكب من الانكليز الى ثغر سكندرية وانهم حاربوا
مراكب الفرنساوية الراسية بالمينا وكانت اشيعت هذه الاخبار قبل وتحدث الناس بها فعصب
ذلك على الفرنساوية واتفق ان بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف يسمى السيد احمد الزرو من اعيان
التجار بوكالة الصابون انه تحدث بذلك فامروا باحضاره وذكروا له ذلك فقال انا حكيت ما سمعته
من فلان المغربي فاحضروه ايضا وامروا بقطع لسانيهما او يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسا نكالا لهما
وزجرا عن الفضول فيما لا يعنيهما فتشفع المشايخ فلم يقبلوا فقال بعضهم اطلقوهم ونحن ناتيكم بالدراهم فطيبوا
فارسل الشيخ مصطفى الصاوي واحضر مائتي ريال ودفعهم في الحضرة فلم يقبضهم الوكيل وردهم ثانيا اليهم
وقال عفونا عنهم على الفقراء فاظهروا فرقهم لما اشاروا ردهم الى صاحبهم فانكف الناس عن التكلم في
ذلك والواقع ان الانكليز حضروا في اثرهم الى الثغر وحاربوا مراكبهم واحرقوا القائق الكبير المسمى

Copyright King Saud University